"الهوية السياسية للبحرين إبان القرن السادس عشر"[111]

تختزل بعض المصنفات المعاصرة تاريخ البحرين في الحديث عن خضوعها لمختلف القوى الاستعمارية منذ مطلع القرن السادس عشر وحتى سبعينيات القرن العشرين، وقد أوقع هذا النمط من السرد التاريخي العديد من المؤرخين في جملة أخطاء من أبرزها؛ تصوير البحرين وكأنها كيان لا إرادة له، فلا يكاد ينعتق من تسلط قوة استعمارية حتى يقع تحت نير سلطة استعمارية أخرى.

وتعمد هذه النظرة القاصرة إلى إهمال دور أهل البحرين عبر مختلف العصور، والتغافل عن مقاومة قادتهم للأطماع الإقليمية والدولية، مما يفوت على البحث العلمي فرصاً مهمة لدراسة نظم الحكم والإدارة المحلية للبحرين في مطلع العصور الحديثة.

وفي الوجهة المقابلة قام بعض المؤرخين بدراسة الأوضاع السائدة في البحرين إبان القرن السادس عشر، وخرجوا بنتائج حاسمة تؤكد عدم خضوع البحرين لأي قوة إقليمية أو دولية؛ ففي الوقت الذي فشل فيه العثمانيون من السيطرة على هرمز، لم ينجح البرتغاليون في بسط سيطرتهم على سواحل الأحساء، وكنتيجة حتمية لعجز أي من هاتين القوتين عن حسم الصراع، فقد حافظت البحرين على استقلالها وأصبحت تمثل الحد الفاصل بين هذه القوى المتنازعة.[112]

وحيث إن البحرين كانت تمتلك هوية سياسية مستقلة بذاتها، ولم تكن تخضع لأي احتلال أجنبي في تلك الفترة؛ فإنه يمكن استهلال الحديث عن أهم ملامح هذه الهوية من خلال استعراض حكام البحرين في القرن السادس عشر، وذلك على النحو الآتي:

1- أجود بن زامل بن جبر العقيلي (1470-1506):

تولى أجود بن زامل حكم البحرين سنة 1470، ويعد من أعظم حكام الجبور؛ إذ بلغت الدولة في عهده مكانة كبيرة، واتسع نفوذها ليشمل الأحساء والقطيف والبحرين وأجزاء من نجد وعمان. وتشير المصادر إلى امتلاك الشيخ أجود لأسطول بحري كبير كان يستخدمه في التجارة وفي المعارك الحربية على حد سواء.[113] وعندما توفي حاكم

---

[111] نشر هذا المقال في: **صحيفة الوطن**، السنة الرابعة، العدد 1241، 4 مايو 2009، البحرين. ص. 16.

[112] صالح أوزبران (1979) **الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي 1534-1581**، ترجمة عبد الجبار ناجي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ص 55.

[113] عبد اللطيف الحميدان (1980) "التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربي 1417-1521"، **مجلة كلية الآداب**، العدد 16، السنة 1980، جامعة البصرة، ص 55.

هرمز؛ فخر الدين تورانشاه سنة 1477، استنجد ابنه سلغور بأجود بن زامل لنصرته على إخوته ومساعدته في تولي الحكم، فتقدم أجود بقواته إلى هرمز ونجح في تثبيت سلغور حاكماً عليها، وتمتع نظير ذلك بسلطة واسعة في أرجاء الخليج العربي وسواحله الغربية.[114]

2- محمد بن أجود (1506-1511):

تولى محمد بن أجود حكم البحرين عقب وفاة والده سنة 1506، وفي العام نفسه استنجد به حاكم مكة المكرمة -الشريف بركات- لإخماد الفوضى والاضطرابات التي أثارها البدو في جدة، وكان حكم الأشراف قد ضعف بسبب خلافاتهم على إمارة جدة ومكة مما دفع بالبدو للإغارة على المدينتين، فسار إليه محمد بن أجود في خمسين ألفاً، فوافاه في 17 ذي الحجة سنة 912هـ/1506م، ولكن قوات من مماليك مصر كانت قد سبقتهم في إخماد الفتنة، فدخل محمد بن أجود مع جيشه مكة المكرمة وطافوا بالبيت معتمرين.[115]

3- مقرن بن زامل بن أجود (1511-1521):

بعد وفاة محمد بن أجود، تولى ابن أخيه مقرن بن زامل بن أجود، وفي هذه الأثناء رغب وزير هرمز خوجه عطار في إحكام سيطرته على البحرين، فشن حملة عليها سنة 1511، إلا أن الجبور هاجموا هرمز من جهة عمان، فاضطر خوجه عطار إلى الانسحاب دون تحقيق رغبته، ثم تحركت قوات برتغالية-هرمزية مشتركة عام 1521 فهاجمت البحرين وهزمت قوات الجبور، وقتل مقرن بن زامل في تلك المعركة.[116]

4- الشيخ حسين بن سعيد الجبري (1521-1529):

قامت قوات الجبور بانسحاب تكتيكي إلى القطيف عقب مقتل الأمير مقرن في يوليو 1521، وكان الهدف من ذلك الانسحاب هو إعادة تنظيم صفوف المقاتلين وانتظار الفرصة المواتية لاسترجاع حكمهم في البحرين، ولم يطل بهم الانتظار، ففي نوفمبر 1521 انفجر الصراع بين الهرمزيين والبرتغاليين، فسارع الجبور إلى استغلال ذلك الصراع، وتحالفوا مع البرتغاليين لبسط نفوذهم على صحار وتوطيد حكمهم في

---

[114] الخليفة وأبا حسين (2005) **مكانة البحرين في التاريخ الإسلامي**، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.ص.ص 193-196.

[115] عبد اللطيف الحميدان (1982) "مكانة السلطان أجود بن زامل الجبري في الجزيرة العربية"، **مجلة الدارة**، العدد 4، السنة 1982، ص.ص 60-64.

[116] الخليفة وأبا حسين (2005) مرجع سابق، ص.ص 197-198.

القطيف، نظير اعترافهم بالسلطة البرتغالية في تلك المناطق، وقد تحدثت بعض المصادر عن استعادة الجبور سيطرتهم على البحرين بزعامة حسين بن سعيد، الذي استمر حكمه طوال الفترة الممتدة ما بين نوفمبر 1521 وحتى مطلع سنة 1529.[117]

5- جلال الدين محمود مراد شاه (1529-1577)

تولى مراد شاه حكم البحرين إبان الفترة 1529-1577، وأبدى دهاء كبيراً في التعامل مع القوى الطامعة في البحرين، وأدت سياسته الخارجية المتوازنة إلى تحقيق الاستقرار المحلي، وازدهار الحركة التجارية فيها، وشهدت البحرين في عهده هدوءاً نسبياً على الجبهة الهرمزية-البرتغالية، فبعد خمس حملات تكبد فيها البرتغاليون والهرمزيون خسائر كبيرة في الأرواح (إبان الفترة 1511-1529) لم يعد لديهم استعداد لشن حملة جديدة على البحرين، وكان لفشل الحملة البرتغالية الأخيرة عام 1529 دور في حمل البرتغاليين على احترام استقلال البحرين وسيادتها. وعلى الشاكلة نفسها فإن الحملة العثمانية على البحرين عام 1559 قد انتهت بنتائج كارثية، إذ فقد العثمانيون أكثر من ألف قتيل على أرض البحرين في تلك الحملة التي انتهت بهزيمتهم وانسحاب من بقي منهم إلى القطيف.

ويجدر التنبيه إلى أن مراد شاه لم يكن يمثل نفسه فحسب، بل كان يترأس أسرة حاكمة متماسكة في البحرين، وقد راعت السلطة العثمانية ذلك العنصر الأسري عندما نصت في فرمان إقراره حاكماً على البحرين سنة 1559 بأن: "تكون مسؤولية تلك الأيالة [البحرين]في يد الأمير جلال الدين مراد خان، ومن بعده يقلدها أخاه شهاب الدين خان أبو النقا، ولأبناء مراد خان من بعده ومن عقبه، على أن يسيروا بحكم الشرع القويم".[118]

وقد خلد مراد شاه اسمه في البحرين من خلال النقش على حجر في موقع قلعة البحرين عقب ترميمها عام 1561، ونصها: "في ضمن شهر شعبان من سنة ثمان وستين وتسعمائة وافق الفراغ من قطع مائة ألف صخرة لتجديد بروج قلعة البحرين وذلك إبان

---

[117] انظر على سبيل المثال:

Sousa, M. F. (1971) **The Portuguese Asia**. 2/263-268.

Danvers, F.C. (1966) **The Portuguese in India**, pp 354.

[118] مجلة الوثيقة، العدد 15، يوليو 1989، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، ص 79.

وزارة الوزير الأعظم جلال الدين محمود شاه على يد العبد فيروز".[119] كما تعرضت المصادر العثمانية والبرتغالية والهرمزية لوصف شخصية مراد شاه، والتحدث عن تحركاته على الصعيد الإقليمي، وانتهت فترة حكمه باغتياله عام 1577.

6- خضر شاه (1577)

تنفرد المصادر العثمانية بالحديث عن مقتل محمود مراد شاه حاكم البحرين في شهر فبراير 1577، وتشير إلى أن ابنه خضر شاه قد خلفه في الحكم، ولكن ملك هرمز أمر بشن حملة ضد البحرين بقيادة وزيره نور الدين، الذي قام بعزل خضر شاه. وتؤكد المصادر العثمانية بأن أصغر أبناء خضر شاه؛ ركن الدين محمود قد تولى حكم البحرين في العام نفسه. وعلى الرغم من أن مصير خضر شاه قد بقي مجهولاً عقب تلك الأحداث، إلا أنه من المؤكد بأن ابنه ركن الدين محمود شاه قد بقي في الحكم حتى سنة 1600.[120]

7- ركن الدين محمود شاه (1577-1600):

تحدثت العديد من المصادر عن حكم ركن الدين محمود شاه في البحرين، ومن أهم هذه المصادر مجموعة وثائق عثمانية تناولت أحداث عدة منها: عزل والده خضره شاه، وتوليه الحكم، بالإضافة إلى وجود إشارات مهمة عن أملاك له في الأحساء.[121]

وقد خلد ركن الدين محمود شاه اسمه في البحرين من خلال وقف أمر بنقشه على حجر في مسجد الخميس يعود تاريخه إلى عام 994هـ/1586م، ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، {لمثل هذا فليعمل العاملون}، تقربت إلى الله العظيم، طلباً لثوابه الجسيم، حضرة خلاصة الوزراء الأعاظم، ونخبة الأواصف الأفاخم، وركنا الوزارة والإيالة والإقبال، حضرة محمود بن خضر عزيز [...] وقرين الجنات ذو الرشد والسعادة، نور الشهادة والغفران. وشاء أن [...] برفع التوزيع والثغور وسائر خراجات الديوان عن

---

[119] لا تزال هذه الصخرة موجودة في قلعة البحرين إلى يومنا هذا، وقد تحدث عنها محمد بن خليفة النبهاني (2004) مرجع سابق، ص 71. وكذلك: ناصر الخيري (2003) مرجع سابق، ص.ص 196-197، وهناك صورة لها مع بعض التفصيل في: مونيك كيرفران (2004) مرجع سابق، ص 85.

[120] Ozbaran S (1989) *"Bahrain in the Sixteenth Century",* **Al-Watheekah**, vol 15, (July 1989), p. 221.

نقلاً عن: أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول، دفتر المهمة: 3، ص 353.

[121] دفتر المهمة رقم 45، الصفحة 214، رقم الحكم 2525، والصفحة 355 رقم الحكم 4296.

الأوقاف، وأملاك المشهد الشريف ذي المنارتين، الكائن ببلد أوال، حرست من الوبال، رفعاً على مر الأيام، إلى الخاص والعام، ومما يشاء، ومن غيّر في رسم هذا الحجر من سائر العالمين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. تحريراً بشهر شعبان لسنة أربع وتسعين وتسعمائة. والحمد لله وصلاة على محمد وآله وسلم".[122]

كما نظم الشاعر أبي البحر جعفر الخطي (ت 1618) مجموعة قصائد في مدح ركن الدين محمود، من أشهرها: قصيدته التي أنشده إياها عام 1001هـ/1592م، وكذلك قصيدته التي أنشده إياها مهنئاً بعيد الفطر عام 1002هـ/1593م، وقصيدته التي هنأه فيها بعيد الأضحى عام 1004هـ/1595م، بالإضافة إلى قصيدة رابعة هنأ فيها الشاعر الخطي الوزير ركن الدين محمود بمولود له لم يكن له غيره، وأنشدها إياه بعيد الفطر عام 1009هـ/1600م. وقد تناولت هذه القصائد الكثير من التفاصيل المهمة حول حكم ركن الدين محمود.

بعد هذا الاستعراض الموجز لأهم حكام البحرين في القرن السادس عشر؛ يمكن القول بأن البحرين قد تمتعت بهوية سياسية مستقلة وحظيت بمجموعة من القادة الأكفاء الذين تمكنوا من المحافظة على مكانتها السياسية والاقتصادية رغم التحديات الصعبة التي واجهتهم، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الباحث دونالد فلاج بقوله:

"احتفظت البحرين بموقع استراتيجي هام، فالبرتغاليون منذ عام 1521، والسنوات التي تلتها كانوا يأخذون الإتاوة من البحرين، غير أنه لم تكن لهم سيطرة فعلية على حكومة البحرين أو على تجارتها المحلية".[123]

حكام البحرين إبان القرن السادس عشر:

م	الحاكم	من	إلى
1	أجود بن زامل الجبري	1470	1506
2	محمد بن أجود بن زامل	1506	1511

[122] نقش على حجر محفوظ في متحف البحرين الوطني.

[123] دونالد فلاج (1975) "البرتغاليون في الخليج العربي 1520-1602"، مجلة **دلمون**، 1975، ص 11.

3	مقرن بن زامل بن أجود	1511	1521
4	حسين بن سعيد الجبري	1521	1529
5	جلال الدين مراد شاه	1529	1577
6	خضر شاه	1577	1577
7	ركن الدين محمود شاه	1577	1600